وقد يهون أمر قضاء الحاجة فى عرفات بالنسبة لاتساع المكان اما فى منى فان الحال يحتاج للدقة التامة فى تعيين منازل المطوفين مع حجاجهم وفى حفر أماكن التبرز وتجديدها عند امتلاءها وحتى فى المبانى الكائنة هناك

الأوبة بالغنيمة

عند ماكاد ركن النهار ان ينهار قام عمال المطوف بهدم الاطناب وطوي المضارب بعد ماجمعنا أمتعتنا وجاء الغلام صالح السوداني بعربتنا يجرها الحمار الذى ماوهن ولا تعثر حتى كانت الخيل لم تلحق له غبار

ركبنا عربتنا مع باقى العربات وسرنا لحد آخر حدود عرفة وكان الشفق يبدو فى الغرب بلونه القرمزي أنذانا بان الشمس قد توارت بالحجاب هنالك تحققنا بان مضينا لحظة من ليلة النحر بعرفة كما هو تعريف الشرع الشريف وتحققنا أيضا بانه قد صح حجنا كما هو القول المأثور (الحج عرفة)

نفرنا من العلمين وقد انتقدت بعض المطوفين لافساد هذا الركن على حجاجهم حتى انهم يبارحون عرفة قبل الغروب

وكان منظر الحجاج فى النفر (النزول من العلمين) كالسيل ينحدر من المكان العالى فيلقى فى النفس روعة وفى القلب فرحة فيتحرك اللسان بالتسبيح والتمجيد لمولانا العزيز الحميد

انها لفرحة لايعادلها فرحة لانا خرجنا من ذنوبنا كيوم ولدتنا امهاتنا وقد تفضل المولى الكريم جل ثناؤه وتعالت كبرياؤه برضائه وتحننه على أهل هذا الموقف ونظر اليهم بنظرات رحمته عند النفر من عرفة فكان كل

حاج يشعر بهذا الفضل العظيم فيرتاح ضميره وتظهر علامات الفرح على أسارير وجهه

وكيف لانفرح وقد عدنا ونحن غانمون تائبون لربنا عابدون . وعدنا أيضا ونحن نحمل اسما زيادة على اسمنا (وكثرة الاسما تدل على شرف المسمى) ولهذا فانني استبدل اسم صاحبتي من الآن باسم الحاجة كلما جاء ذكرها

مكانة القلم

يدب القلم دبيبه على القرطاس فينقش كل تميمة تذهل القارىء فيؤخذ مسحورا . ويتسلط القلم بسحر بيانه على العقول فيميلها مع كفة ميزانه وعلى القلوب فيقودها الى الايمان بكلامه والقلم يأخذ بيد القارىء حتى يرى نفسه بين روضة غناء يتضوع عبير الادب من ثنايا السطور . وهو يحمس الجبان وينشط الكسول واذا هزه الكاتب فى يده يكون امضى من السيف اذا غضب واندى من الندى اذا رضي أو أحب . فصرير الاقلام هو النغمة الالذيذة التى تتفتح لها آذان الامم فتسير ورائها وحملة الاقلام يتقدمون وفى يدهم راية العز فيلتف الناس حولها . وقطرة واحدة تسيل من مداد القلم تكون كالبلسم الشافى لسقام الامم والشعوب وقطرة اخرى تكون كالحمم تتقاذف على العروش فتمثلها وعلى الصروح فتدكها من اساسها . وانه ليكفى القلم فخرا ان أقسم الله تعالى به فى كتابه المكنون فقال تعالى (ن والقلم وما يسطرون)

واقسم ان حملة الاقلام كلهم مدينون الى عرفات وما يجاور عرفات

عكاظ واخواتها

كان العرب قبل الاسلام يقيمون اسواق عكاظ ومجنة وذى المجاز عند اقتراب موسم الحج ليعرضوا فيها عصارة قرائح الشعراء وبنات افكار الادباء حيث كان الشعر سجية لكل عربي وكان مقدار كل منهم وما يحسنه من المنظوم والمنثور حتى صاروا يتبارون فى الفصاحة ومن يحوز قصب السبق فيها تدرج قصيده ضمن المعلقات فى البيت الحرام أو يشار اليه بالبنان بين الانام وكان بيان سحبان وفصاحة قس بن ساعدة مضرب الامثال. وشعر امرىء القيس وطرفة بن العبد واضرابهما من فحول الشعراء لا يزال يملى على أبناء العربية من الحكم البالغة والمعانى السامية ما يجعل رؤوسهم عامرة بجيد الادب وبليغ البيان . وقد فشت الفصاحة وكثرت بينهم كما كثر السحر فى قوم فرعون حتى جاء القرآن الكريم فوجم الكل أمام بلاغته العالية وكان كعصا موسى تلقف ما يصنعون

ولما دخل العرب فى الاسلام هذبوا لغتهم ببلاغة القرآن حتى صارت تزهو فى ثوب قشيب من البهاء والجمال وقد اغترف من منهلها العذب كل ناطق بالضاد وهذا ما جعلنى أقول أن كل الادباء مدينون إلى عكاظ وأخواتها القريبة من عرفات

ولقد تذكرت أيضا هذه الاسواق العظيمة وسيد الانبياء يعرض نفسه على القبائل فى كل موسم ليدعوهم إلى صراط العزيز الحميد وهو يتلو عليهم آيات الذكر الحكيم فيقفوا أمامها خاشعين مطاطىء الرؤوس

فارس يعلم الاخلاق

ولقد وجدت بين الجاهلية الاولى فارسا يعلم الناس الاخلاق وهو عنترة العبسي من أصحاب المعلقات إذ يقول من شعر له

وأغض طرفى ان بدت لى جارتى
حتى يوارى جارتى مـأواهـا

فما قولكم معشر المتمدينين وأنتم تريدون أن تخترق أبصاركم حجب الخدور لتنظروا ما وراءها فان انتسبتم إلى العرب فهذه أخلاق العرب وإن رجعتم إلى الدين فرحمة العالمين قد بعث ليتمم مكارم الاخلاق وإذا نظرتم إلى العمران فانحطاط الاخلاق يقوض أركانه . فتمسكي أيتها الامة الناهضة بالاخلاق فان الامم لاتحيي حياة هادئة طيبة الا بالاخلاق

الى المشعر الحرام

سرنا وكان الكوكب المحبوب يطل علينا من سماء علياته فكان منظره اللجيني يبهج النفس ويفسح المجال للعين ان ترى الجادة كوضح النهار . وكانت الجبال التى تكتنف الطريق عن يمين وشمال كأنها تحادينا وتحنو علينا أثناء المسير

استمر بنا التسيار الى ان القينا عصاه بالمزدلفة عند المشعر الحرام وهو (جبل قزح) وقد قطعنا المسافة فى نحو الساعة وكسور الساعة

اعتق صالح رقبة الحمار وفك العريش عنها وقد صلينا المغرب مع العشاء (جمع تأخير) وتناولنا من الطعام ماتبلغنا به مع الشكر للمنعم بجلائل النعم تبارك اسمه وتعالى جده

أخذت أفكر فيما هو المشعر الحرام . فالمشعر الحرام هو قطعة من

جبل وليس عليه حلي أو حلل ولا مزدانا بلؤلؤ أو مرجان ولا مبرقشا بنقش من الالوان حتى كانت هذه العبادات حقيقة واضحة وضوح الصبح لذى عينين بانه دين لاعوج فيه ولا مواربة ولا تعقيد (قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) - قرآن كريم -

أخذت الحاجة قسطا قليلا من الراحة بالعربة أما انا فاسترحت على سجادتي بالارض وبجوارنا كثير من الحجاج نائمين بالعراء ولما تبددت جيوش الظلام وبدا الصبح بوجهه البسام استيقظت فصليت ثم ايقظت رفقتي وأيقظت الغلام صالحا أيضا فشد الحمار بالعربة وجاء بها وقد التقطت أربع عشرة حصاة كل منها على قدر البقلة وأخذتها في جعبتي

وقد ذكرنا الله تعالى عند المشعر الحرام كما يقول عز شأنه في كتابه الكريم (فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم)

الى جمرة العقبـــة

ركبنا العربة وسرنا قبل الاشراق وكان مسير له جلاله في النظر وله بهجته في الفؤاد وكنت ترى الطريق مزدحما بطبقات الناس منهم راكب الهودج ومنهم راكب الجمل وراكب الحمار ومنهم راكب العربة ومنهم الماشي على قدميه وكنا نجد بعض العربان وهم يعرضون الجمال أو الحمير للركوب بالاجرة وينادون عليها (يارويكب . يارويكب)

استغرق مسيرنا من الزمن نحو ساعة واحدة الى ان وصلنا جمرة

العقبة ويسمونها فى مكة المكرمة (الشيطان الكبير) وهي عبارة عن بناء قليل الارتفاع علوه نحو القامتين تقريبا بجوار جبل صغير

نزلنا من العربة فانتحى بها الغلام جانبا من الطريق ووقف لحراستها والامتعة وقد أعطيت الحاجة سبع حصيات ووقفنا تجاه العقبة وكانت منى عن يميننا والبيت عن يسارنا وكل منا رجمها بحصياته السبع وكنا نقول مع كل حصاة (بسم الله الله اكبر رغما للشيطان ورضا للرحمن) ونمسك الحصاة بين الابهام والسبابة ونحذفها بحيث انها تصل الى الجمرة والتى لم تصل منها تعاد . والى هنا يباح لنا التحلل من الاحرام الا الطيب والنساء

الحكمة من الرمى

لابد للخاطر ان يذهب الى البحث عن كنه هذا الرمي وما الفائدة منه . وحكمته هي لاجل ان نتذكر فضل المنعم الكريم جل وعز على سيدنا الخليل حيث انه عند ما أراد ان ينفذ الامر العالى الالهي الذى تلقاه فى الرؤيا بتقديم ولده الكريم قربانا لله تعالى ولما أخذ الصبي الذبيح سيدنا اسماعيل ومعه الحبل والمدية ومشى به ليذبحه فكان الشيطان يقابله فى هذه الاماكن وينزغ له بنزغاته فيلهمه اللهم العظيم بان يرجمه ليبعد عنه وسواسه فنحن نتشبه بابينا ابراهيم عليه السلام

وهناك أيضا حكمة دقيقة يجب ان نمعن النظر فيها وهي ان الشيطان عدو طبيعي للانسان وهو واقف بالمرصاد يتربص بنا الدوائر فمن رحمة الله تعالى بنا ان نبهنا بهذا الرمي الى وجود هذا العدو اللدود لنأخذ حذرنا ولا نتمادى مع وسواسه بالشر والاذى والانغماس فى حمأة المنكرات

الشريفان الذبيحان

مادام ان الامر الذى تلقاه سيدنا ابراهيم عن ذبح ولده وقد شرع فى تنفيذه حتى فداه الله تعالى بذبح عظيم وكان هذا بالحجاز فالذبيح اذن يكون سيدنا اسماعيل لامحالة لان أخاه سيدنا اسحاق ولد بعده وكان مقيما مع أمه السيدة سارة بالشام

ويكون سيدنا حبيب القلوب هو ابن الذبيحين . فالذبيح الاول هو جده الاعلى سيدنا اسماعيل ابو العرب والذبيح الآخر هو والده الشريف عبد الله بن عبد المطلب . وقصة ذبحه هذه هي

ان السيد عبد المطلب بن هاشم شيخ البيت الحرام لما أراد ان يحفر زمزم المباركة كما كتبنا سلفا تعرض له أشراف قريش ومنعوه عن الاسترسال فى الحفر قائلين له لاتحفر فى أرض بيتنا الذى هو عزنا وقد تمنى ان يكون له بهم قوة أو يأوى الى ركن شديد من أولاد يذودون عنه حيث لم يكن له الا ولده الوحيد الحارث بن عبد المطلب فنذر لله تعالى ان رزقه بعشرة من الاولاد ليذبحن أحدهم قربانا لله تعالى ولما عقب العشرة وزاد عليهم اثنين وكان أصغرهم الشريف الكريم عبد الله والد خير النبيين اتاه آت فى المنام وذكره بان يفى بنذره فقدم ولده الصغير هذا الى الذبح فتصدى له عظماء قريش وقالوا اذا فعلت هذا يأخذها العرب عنك سنة فيذبحون أبناءهم. ثم أجمعوا أمرهم على الذهاب الى أحد الكهان ليأنسوا برأيه فيما يفعلونه بهذا الحادث الجلل . فسألهم كم الدية فيكم ؟ فاجابوه انها عشرة أبعرة . فقال افدوا الغلام بها . ولكن خاطر السيد عبد المطلب لم يطمئن الى هذا الرأي بل انه صار يضرب القداح وكلما يضربها تخرج على الصبي

فيزيد الفدية عشرة فعشرة وهي تخرج على الصبي أيضا إلى ان أبلغها المائة فخرجت على الابعرة فقدمها فدية عن الصبي الكريم وقد تفضل الله تعالى ونجاه من الذبح ليخرج من صلبه سيد الاولين والآخرين

وكان أحد السادة الاصحاب يحكى بانه تقدم رجل الى أعتاب الرسول الكريم ليرجوه نوالا وقد أراد الرجل ان يطريه وينسبه الى أعز الانساب فقال له أرجوك ان تقضي لى حاجتى (يا ابن الذبيحين) فتبسم السيد الكريم ولم يبد اعتراضا على قول الرجل

بيعـــة العقبة

بجوار هذه الجمرة كانت بيعة العقبة (وفى محلها مسجد مقام هناك) هذه البيعة التى كانت مفتاح الفرج بعد الصبر الجميل . وكانت الاداة الفاتحة لمستودع النور الذى أضاء الطريق أمام الانسانية حتى اهتدت الى الحيـاة الهنيئة حيـاة الحرية الصحيحة والاخاء الحقيقي وقد عرف الانسان تمام المعرفة انه لا يوجد فى الكون الا معبود واحد يدين الناس اليه بالعبودية لانه قدير وانه هو وحده الذى برأ الخلق ورزقهم واليه مثواهم ومنقلبهم

ظل سيدنا رحمة العالمين يدعو النـاس الى التوحيد ثلاثة عشر عاما وقريش تضع العقبات فى طريقه ليطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون

ولما أذن الله تعالى ان ينشر رحماته ونعمه على بنى الانسان ويخرجهم من ذل الكفر الى عز الايمان جاء ستة رجال من الخزرج من أهل يثرب الى الحج فتصدى لهم سيدنا البشير النذير كعادته وعرض عليهم الاسلام فمالت قلوبهم نحوه وتواعدوا معه ان يعودوا اليه فى الموسم من العام القابل

مع نفر من قومهم بعد ان يبثوا فيهم روح الاسلام العالية . وقد تمنوا ان يسود الوفاق والوئام بين قبيلتى الاوس والخزرج (وهم السادة الانصار) وان يجمعهم الله عليه بعد ان ظلوا فى حرب طاحنة من يوم (بغاث) وهو يوم نحسهم الذى ابتدأت منه العداوة الشديدة بين هذين القبيلتين مدى خمسة أعوام

والذى جعلهم يتحققون من صدق الصادق المصدق ان حلفاءهم اليهود من بنى قريظة وبنى النضير كانوا يستفتحون عليهم بنبي قد جاء أوان ظهوره وكانوا يتوعدونهم بالانضواء تحت لوائه فيستأصلونهم معه كما هلكت عاد وارم . وكان اليهود يعلمون بظهوره مما ذكر بالتوراة وقد بين الله لنا عبارتها بقوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه اولئك هم المفلحون)

ولما جاء الموعد المحدد أقبل رجال من الاوس والخزرج وقد بايعوا السيد الكامل على ان يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى السمع والطاعة فى العسر واليسر وان لا ينازعوا الامر أهله وقد انتخب منهم اثنى عشر نقيبا ولما عاد هؤلاء الاثنا عشر الميامين الى يثرب قاموا بالدعاية الى التوحيد حتى فشى الاسلام فيهم وكثر بينهم فطلبوا من السيد الامين ان يبعث اليهم بمن يرشدهم الى أمر دينهم فارسل اليهم فتى قريش سيدنا مصعب بن عمير ونزل على النقيب سيدنا أسعد بن زرارة وقد أسلم السادة الانصار كلهم ثم هاجر الصحابة الاخيار اليهم وبعدها اذن الله تعالى لافضل

المهاجرين بالهجرة فكانت هجرته للدين عزا وللاسلام فخارا وللانصار سعدا عظيما حيث ذهبت الاضغان والاحقاد من صدورهم وأصلح الرسول الكريم ذات بينهم وقد نوه الكتاب الكريم عن ذلك فى قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها) وأيضا شرفهم الله تعالى بان تشرق شمس الاسلام من ديارهم .

هذا وقد تآخى الانصار والمهاجرون فى الله تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصديقون . والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) ـ قرآن كريم ـ

الى طواف الافاضة

بعد رمي جمرة العقبة ركبنا العربة وسرنا الى مكة المكرمة وذهبنا الى المنزل فخلعت ثياب الاحرام ولبست ثيابى العادية ثم سرنا الى البيت المشرف لاداء ركن طواف الافاضة وهذا الركن يجوز اداؤه أثناء شهر الحجة الا انه فى يوم النحر أفضل ومعظم الحجاج لا يأتون به الا بعد ان يمضوا أيام التشريق بمنى ثم ينزلون الى مكة ويطوفون

نظرنا الى البيت المطهر واذا بالكسوة الجديدة الشريفة تسبل عليه والعمال قائمون باللازم نحو تزريرها وترتيبها فكبرنا الله تعالى ودعوناه ان يزيد بيته الكريم تشريفا وتعظيما وان يلهم القائمين بالامر الى السداد والرشاد

وبعد ان أتممنا الطواف خرجنا للسعى فسعينا وحمدنا الله تعالى. والى هنا تمت أعمال الحج المبارك والحمد لله تعالى على كمال نعمته وإحسانه

أيام التشريق بمنى

بعد ماسترحنا بالمنزل لحد العصر جاءنا صالح بالعربة ركبناها وعدنا الى منى ولما وصلنا هناك قيل بان العربات لاتدخل فى الشوارع منعا للزحام فصدعنا بالامر ومشينا على الاقدام الى مسجد الخيف محل مضرب الخيام ومعنا الحمال التكروني يحمل الامتعة ثم نزلنا بالخيمة الخاصة بنا وهي شرقي مسجد الخيف مباشرة وكنا وقتها عند الغروب

البساطة فى العيش

ما أطيبه من منظر خلوي بدوي حيث نفرش السجادة على الثرى ونتبسط فى العيش وما أحسن البساطة فى كل شيء لانه كلما تعمق الانسان فى المدنية كلما كثرت حاجاته وكلما كثرت حاجاته كلما زادت همومه وعند مايرى نفسه مضطرا لان يتحصل على الكماليات مجاراة للوسط الذى هو فيه فلا يبالى بالوجهة التى يوليها للحصول على هذه الكماليات

هذا وان أهل البادية لايحملون من الهم مايحمله أهل الحضر لان البدوي يكفيه جرد واحد (حرام) يعيش به السنوات العديدة وهو يجعله غطاءه ووطاءه ويكفيه أيضا قميص ونعال وكذلك امرأته يكفيها من الكسوة النذر اليسير ثم ومن عادة البدويين انهم لايمتلئون بالطعام بل

انهم يتبلغون بالكفاف منه وهذا هو المراد من خلق الانسان فانه يجب ان يأكل ليعيش لا ان يعيش ليأكل وقد ورد فى الأثر (حسب المرء لقيمات يقمن بها صلبه)

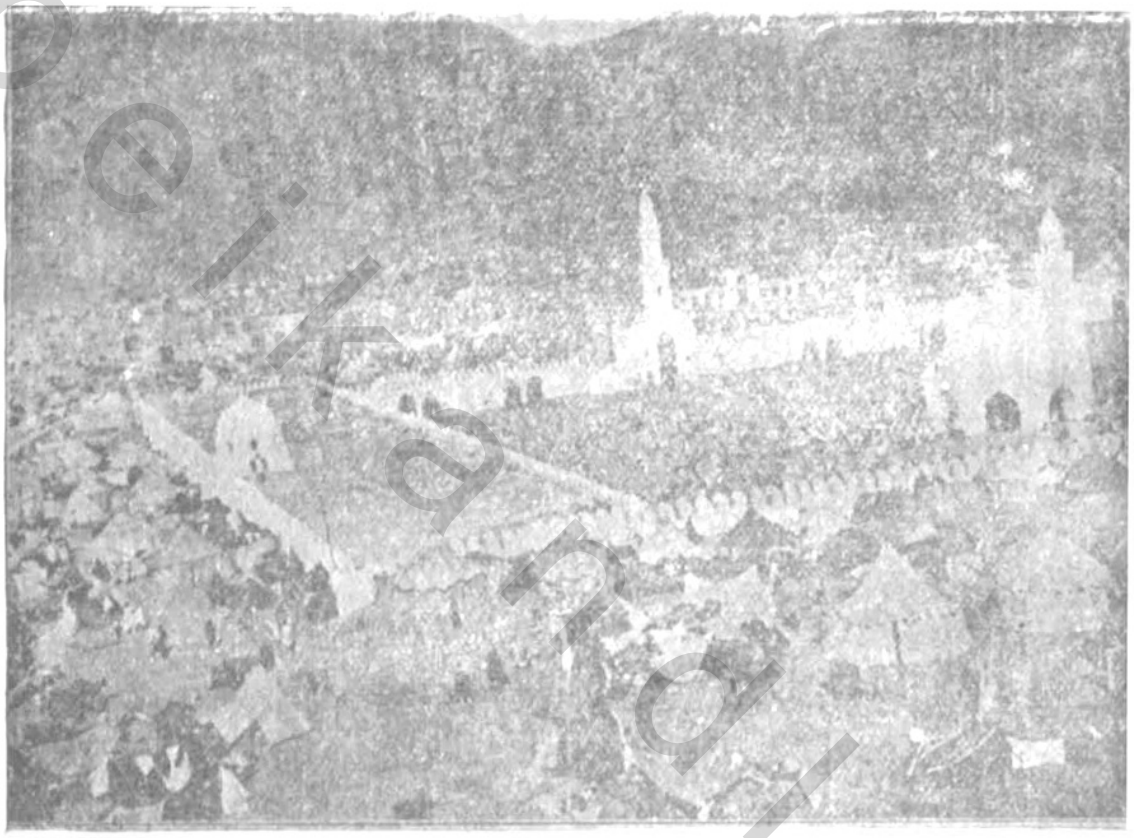

مسجد الخيف بمنى

الاماكن فى منى

أصبحنا الاربعاء ١١ الحجه ثانى أيام التشريق وقد خرجت إلى منى وهي عبارة عن الشارع الذى به الجمرات وشارع آخر يوازيه يسمونه (شارع الملك) وهناك مكتب للبريد والبرق ومكتب للصحة والشرطة وهناك أيضا مباني يستأجرها بعض الحجاج وينصبون الخيام فى فنائها ويقام هناك سوق كبير يباع فيه الخبز والخضر والفاكهة والبقول وكل أصناف

المأكولات ويباع فيه أيضا أنواع الهدايا التى يأخذها الحجاج معهم مثل المسبحات والخواتم والكوفيات والقلائد والغويشات وغير ذلك

العيـــد والمحملان

وقد بعثت برسالة برقية إلى مصر للتهنئة بالعيد وهذا هو العيد السعيد الذى يتمناه الناس لبعضهم إذ يقول الواحد للآخر (عقبى لك السنة الجائية وأنت على منى) نعم أنه عيد سعيد لاننا مضيناه في كنف المولى البر الرحيم عند بيته المحرم ولكن كان يداخل النفس شيء من الكآبة والاسى لشتات أمر الاسلام وتفرق كلمته . وكم كانت الاعياد سعيدة عندما كان الاسلام مهاب الجانب قوي الشوكة. والآن أننا نرفع أكف الضراعة إلى المولى الكريم سبحانه وتعالى أن يلم شعثه وأن يرفع شأنه ويلهم أهله الوفاق والوئام ويهديهم جميعا سبيل الرشاد

هذا وقد عادت بي الذكرى إلى أيام الحج الاولى وقت أن كنت أرى الافراح تقام هنا وهناك والناس فى غبطة وهناء حيث يقف المحملان المصري والشامي ويصطف رجالهما من كل الرتب وهم يرتدون كسى التشريفة الكبري للاشتراك فى الاحتفال بالعيد وكان لهذه الحفلة جلال ونخامة تزيح الهم عن القلب المحزون

كذلك وكان وجود هذين المحملين بجانب بعضهما رمزا من الرموز المعنوية على ارتباط هذين القطرين الشقيقين ارتباطا لا تنفصم عراه مدى الدهور والازمان وقد يشمل هذا الارتباط الآن الثلاثة ايالات التى تتكون منها الشام وهي (سوريا وفلسطين ولبنان)

ثم ووقت الاصيل عندما تتلطف حرارة الجو تصطف الموسيقات

وتشنف الاسماع بنغماتها الشجية إلى أن ينقضى النهار بسلام وهكذا فى باقى أيام عيد الاضحى الثلاث

الذكر الرياضى

وكان مشايخ الطرق يقيمون حلقات الذكر الرياضي الذى لا محل للاعتراض عليه لان الشرع الشريف لا ينهانا عنه لما ورد فى القرآن الكريم (واذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) ولو كانت نشوة الطرب لذكر المولى القريب المجيب تخالج النفس فيهتز لها الجسم فليس هناك من بأس

وينبؤنا التاريخ بان سيدنا جعفر بن أبى طالب عند ماعاد من هجرة الحبشة وتلاقى مع ابن عمه العظيم وبهرته أنوار النبوة المتلألئة وجمالها المليح حجل برجله كرقصة أبناء الاحباش من شدة الطرب وفرحة اللقاء ولم يحصل أي اعتراض من قبل الرسالة العظمى

والآن قد دارت الايام دورتها حتى سمعنا بان صوت البوق (البورى) الذى ينبه العساكر الى أمور تتعلق بشؤونهم هو منكر من المنكرات التى لايكفى فيها ان ننكرها بالقلب أو باللسان بل نقاومها باليد وبالطعان. ولكن الذين يصلون الى هذا الحد من الزهادة هم الذين لايدخلون مع المعنيين بقوله تعالى (ان الارض لله يرثها عبادي الصالحون) أي الصالحون لعمرانها

رجاء واستعطاف

من لى بابلاغ صوتى الى العاهل الكريم الذى ملأ الحجاز قسطا وعدلا لالتمس منه ان لايعبأ بهذه القشور مادام لباب الدين محفوظا ولا يعتوره أي مكروه. ليترك المحمل يسير بفرحه ومرحه وحفله وموكبه حتى يفرح

الناس وتنشرح صدورهم وحتى يفرح الخالق بافراح خلقه وان عز عليه ان يرى جنودا غير جنوده تخطر فى الحجاز فهذا الجنـد يامولاي هو الجند المبارك وما هو الا لجندك لان القطرين صنوان عزيزان وشقيقان عطوفان

نعم يامولاي ان القطر المصري هو الأخ الحنون البار الذى يقتطع من طيب ماله ويهديه الى الحرمين الشريفين خالصا مخلصا

اتفق يامولاي مع مصر واخفض جناحك لها وكن مع الجماعة فيدالله معها ولا تركن الى مذهب واحد أو رأي واحد فالامة لاتجتمع على ضلال

رمى الجمرات

جمعت اثنتين وأربعين حصاة من أرض منى بمحل الخيام وبعد تناول الغذاء والراحة وبعد الصلاة الوسطى قمنا الى رمي الجمار فرمى كل منا سبع حصيات لكل جمرة من الجمرات الثلاث ثم عدنا فرحين مستبشرين

وكذلك فى اليوم التالى أي يوم الخميس ١٢ الحجه رمينا الجمرات بالكيفية المتقدمة . وقد استصدر المطوف أمرا من الحكومة بحضور العربات عندنا بمحل الخيام فاخـذنا متاعنا وقمنا بعـد صلاة العصر وكنا نرمى الجمرات ونحن سائرون

وقد مضينا يومين اثنين بمنى وقد صدرت رخصة بهـذا من المولى الرحيم فى قوله تعالى (واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليـه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون) والقليل جدا من الحجاج يمضى الثلاثة أيام بمنى

العودة الى مكة المكرمة

سرنا بالعربات وكان البشر والسرور يلازم خطواتنا والحمدلله قد نلنا غاية المنى وبلوغ القصد من رب السموات والارض وقد وصلنا الى مكة قبل الغروب بسلام آمنين

ولدى وصولنا سمعنا خبرا شممنا منه رائحة التساهل حيث أقيمت حفلة العيد أمام القصر الملكي ونزل صاحب السمو الامير فيصل الى حلقة البرجاس وأخذ شوطه فيه ثم نزل والده الكريم وأخذ دوره أيضا

وقد صار أهل مكة المكرمة الآن يسمعون فى بيوتهم الحاكى (الفونوغراف) و يسمونه (الصندوق) وقد أمسى هذا الصندوق وله شأن عظيم فى أندية السمر المنزلية حيث تدار به اسطوانات أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وغيرهما

الجمعة الرابعة والسودان

كانت آخر جمعة من الجمع السعيدة التى كنا نتمتع فيها متاعا حسنا بالصلاة فى جوار البيت العتيق المطهر هي الجمعة الرابعة وكانت توافق يوم ١٣ الحجة فصلينا وحمدنا الله تعالى على نعمه واحسانه ثم عدنا أدراجنا الى المنزل

ولقد تقابلت مع زمرة من اخواننا السودانيين فاحاطوا بى احاطة السوار بالمعصم وأخذوا يسلمون علي سلام مشوق لحبيب عاد بعد غياب طويل ويقولون مرحبا بأخينا المصري وأهلا وسهلا (لان هيئتي كانت

تدل لأول وهلة على انني من المصريين)فقلت لحى الله السياسة التى فرقت بين هذين اللدين المتقاربين والحبيبين العزيزين حيث تسقى أرضهما بماء واحد هو ماء النيل المبارك وتربطهما روابط كثيرة من الاخلاق والعادات

بالعتبة المقدسة

كنت أنوه كثيرا الى الحاج طاهر برغبتنا فى التشرف بدخول البيت المطهر فما نرى منه الا ناصحا أمينا حيث يعظنا بانه لايجوز ان يتهجم الانسان على الملك فى بيته وخصوصا هذا البيت هو بيت رب الارباب وملك الملوك فكنت أجيبه بان سيدنا الانسان الكامل قد دخل البيت وهو خير قدوة لنا . وكان هذا الامر لايبرح من بالى . وكنا نرى الشيخ الشيبي أمين المفتاح يفتح باب الكعبة المشرفة بين كل يوم وآخر ويدخل الناس أفواجا للتبرك ولكن كان يتعذر علينا الوصول الى جهة الباب لشدة الزحام

وأخيرا فى يوم السبت ١٤ الحجة ٢ مايو قمنا قبل الاشراق ومكثنا نطوف ونتملى بالبيت المشرف ولزمنا الملتزم ندعو ونضرع الى الله تعالى واذا بالشيخ الشيبي قد أقبل مع توابعه ونصبوا له السلم الصغير

(ويوجد للكعبة المشرفة سلم كبير مزخرف بالفضة وعليه نقوش أخرى وهو يوضع فى الاحتفالات الكبيرة)

ثم صعد هؤلاء ومعهم المجامر ليطلقوا البخور داخل البيت المشرف ولما كنا بجانب السلم تماما (بجوار الملتزم) وجدنا ان الفرصة سانحة للدخول وقد أذن الله تعالى لنا بهذا التشريف العظيم . فناولت الخادم الواقف بجوار السلم شيأ من المال ليسلمه الى الشيبي ثم صعدت انا والحاجة

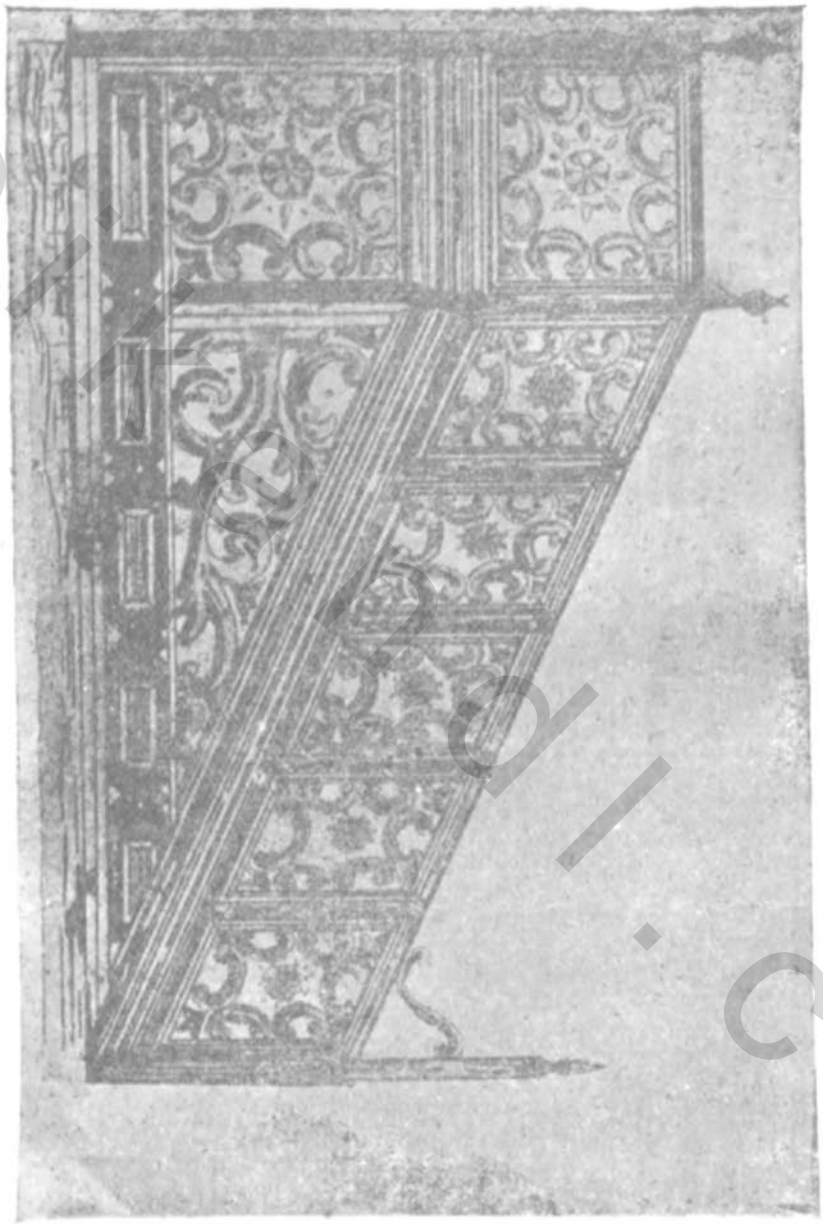

السلم الكبير للكعبة المشرفة

obeikandl.com

وكانت هزة سرور عظيمة تكاد الاعصاب ان تتخدر لها وكدنا ان نصعق لجلال الامر العظيم الذى وصلنا اليه . وقد صلينا فى أربعة أركان المكان ودعونا الله تعالى بما شاء ان ندعوه به

وقد وجدت بقية من بقايا التحايل المحبوب على الرزق وذلك ان هناك ستارة يقولون انها موضوعة على باب التوبة ويقف بجانبها رجل من أهل مكة يدخل الناس خلفها ويتلو لهم بعض الادعية فى مقابلة شيء يعطفون به عليه . وكذلك وجدت رجلا آخر يقول للزائر ضع رجلك هنا وقف على حجر الرحمة وينتقى حجرا أحمر من الاحجار المرصوف بها أرضية المكان وكنت أعطف عليهم مع علمى انه تحايل ولكنه على كل حال طريق من طرق الاحسان الذى قمنا من بلادنا لاجله

أخذت أطيل النظر فى الشيخ الشيبي واذا به رجل نحيل ربعة يميل الى السمرة وهو فى آخر مرحلة من مراحل العمر وقد بيضت السنون شعره وأحنت ظهره ويحف به ناس من أولاده وأحفاده وخدمه . وبنو شيبة كلهم فى سعة من العيش

فكرت حتى رجعت الى يوم الفتح الاعظم وقد أخذ الفاتح العظيم مفتاح الكعبة المشرفة من عثمان بن طلحة من بنى عبد الدار وكانت الحجابة فيهم مع اللواء (وعبد الدار وعبد مناف اخوان لابيهما قصي أحد الاباء العظام المتصلين بالنسب الشريف الطاهر)

ثم صدر الامر من السماء (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها) عند ذلك رد السيد الامين المفتاح الى عثمان بن طلحة وقال (خذوها يابنى طلحة خالدة تالدة لاينزعها منكم إلا ظالم) وقدمات عثمان بن طلحة ولم يعقب فورث الحجابة شيبة ابن أخيه وقد صارت فى بنيه الى يومنا هذا

العمرة من التنعيم

قلت ان منزلنا كائن بمحلة الشبيكة وهي الطريق العمومي للداخل الى الحرم الشريف والخارج منه من جهة الغرب (أي من طريق جدة والمدينة). ولما ان أتم الناس كل مناسك الحج رأينا بعضهم يخرجون بثياب الاحرام ليأتوا بعمرة من التنعيم كما أتت بها السيدة عائشة الصديقية والتنعيم هذا يبعد عن الحرم الشريف بنحو الستة كيلومترات تقريبا وهو حدود الحرم من جهة المدينة

وهذه العمرة هي التي اعتمرتها السيدة عائشة الصديقية حين خرجت الى التنعيم هي وأخوها الكريم سيدنا عبد الرحمن بن سيدنا أبي بكر الصديق وأحرمت منه للعمرة بدل التي فاتتها عند قدومها مع السيد الكامل في حجه المبارك ولما وصلت الى سرف أتتها عادة النساء فامرها الرسول الكريم ان تقف المواقف كلها الا الطواف والسعي وأخبرها بان أعمال الحج تندمج فيها أعمال العمرة ولكنها أرادت الاستزادة من الثواب فاتت بالعمرة التي نحن بصدد الكلام عنها

وكنا نريد ان نأتي بهذه العمرة ولكن عادة النساء جاءت الى الحاجة فلم نتمكن من الذهاب اليها وهي على كل حال من النوافل وليست من الحج في شيء

والحمد لله قد أدت الحاجة المناسك كلها ولم يفتها منها شيء الا ان كان طواف الوداع وهو يسقط عنها كما سبق للسيدة صفية أم المؤمنين. وكان من رحمة الله تعالى بالحاجة ان جاءتها هذه العادة في هذا الاوان حتى تدخل المدينة المنورة وهي غير محدثة

كيفية الترحيل

انه يتحتم على المطوف ان يقوم باللازم نحو ترحيل حجاجه سواء الى المدينة المنورة أو الى بلادهم عن طريق جدة فمن يريد السفر منهم على الجمال يخطر عنهم المقوم (وهو رئيس طائفة الجمالين) ومن يريد السفر بالسيارات يخطر عنهم النقيب (أي نقيب شركات السيارات) وحتى ومن يرغب السفر راجلا لابد ان يخطر عنه وكل هؤلاء لهم صلة بالحكومة لاجل تحصيل الضرائب وهي تجبي هذه الضرائب باعتبار النصف أو أكثر قليلا مما تحصله الشركات أو الجمال

وكان عمال الحكومة المصرية المنوط بهم أعمال تتعلق بأمورية الحج عند ما يرغبون الحج أو الزيارة يطلبون من مندوب الداخلية مخابرة الحكومة السعودية لمعافاتهم من الكوشان (اتاوة الحكومة) فتسمح لهم بهذا

وقد سلمت الى الحاج طاهر أربعة وعشرين جنيها وأربعة عشر غرشا مصريا أجرة السيارة الى المدينة المنورة ذهابا وعودة عنى وعن الحاجة

ولما كان من عادة السيارات ان لا تحمل من الامتعة الا الضروري لكل حاج وكانت (أخراجنا) محشوة بامتعة كثيرة فاضطررنا لان نستأجر لها جملا لتوصيلها الى جدة وحفظها عند وكيل المطوف لحين عودتنا وقد دفعنا أجرته جنيهين اثنين . وكل من يريد الاقتصاد فى النفقة فليقلل من العفش بقدر الاستطاعة. أما جيراننا القنائيون فقد انصرفت رغبتهم الى السفر للزيارة على الجمال لتخف عنهم المصاريف فصار المرغوب نقلهم بواسطة مطوفنا على السيارة اثنى عشر شخصا وهم التسعة الافغانيون والحاج محمد سليمان ونحن الاثنان وقد عمل الحاج طاهر الاجراءات اللازمة نحو الحصول على السيارة

القلب يأبى الوداع

بقى علينا من الواجبات نحو البيت العتيق المطهر ان نطوف به طواف الوداع فقمت بهـذا الواجب والقلب راغم لانه لايريد الوداع . التزمت الملتزم وكنت آمل ان العبرات التى تجود بها المقـلة تبرد من لوعة الفؤاد المفؤود لهـذا الفراق . بكيت وبكيت طويلا لانه فراق لمحل تنزلات الرحمة الآلهية ومكان تعطفات العزة الصمدانيـة . تأثرت لفراق البيت بيت ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . فهو سبحانه وتعالى الذى يلهم الوليد بان يلتهم حلمة الثدي ليتبلغ للحياة . وهو الذى يهدى العجم من السوائم لان تحنو على نسلها حتى يعيش وينمو . وهو الذي يهدى الفلك التى تجرى فى البحر بامره

ان حشاشة القلب تكاد ان تتمزق لفراق بيت ربنا واجب الوجود الذى اهتدى لوجوده البدوي البسيط يستدل على ذلك بما يقع تحت حسه ونظره اذ يقول (البعرة تدل على البعير والاثر يدل على المسير) وهـذا الكون بنظامه البديع المتقن دلالة صريحة على وجوده سبحانه وتعالى

انه لو كانت البحار مدادا والاشجار أقلاما ماقامت بالثناء على الله تعالى ازاء فضله وتكريمه لابن آدم حيث جعله جرما صغيرا وتنطوى فيه العوالم الكبيرة فبينما تراه جاثما على الثرى اذاهو يسرح بادراكه الى ماوراء الطبيعة واذا به أيضا يرصد الكواكب فيتعرف كنهها . وهو يتعمق فى العـلوم الكونية حتى أصبح يناطح الافلاك ويسابق الاسماك ويسخر الجو لمواصلاته

فالاثير طوع أمره والهواء والشمس والقمر والنجوم مسخرات لسعيه (الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وأتاكم من كل ماسألتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) - قرآن كريم -

بطل الرواية

ان معظم رحلتنا الميمونة هذه كانت فى مكة المكرمة ولذلك نعتبر الحاج طاهر انه بطل روايتنا ولكننا لانقف معه موقف القصصيين الذين يسدلون حجابا من الفضيلة على أبطال رواياتهم حتى لايظهر عليهم أي تجريح . وبما اننى أكتب هذه الصحيفة لتضاف على صفحات التاريخ فما يكون لى ان أحيد عن الحقيقة قيد شعرة ولهذا ترانى مضطرا لان أثبت بادرة صغيرة بدرت منه ولا أعتبرها هفوة بل هي أقل منها بكثير وذلك ان الذين سبقونا بالحج يحذرونا من ركوب السيارة (التاكس) الصغيرة لانها تتعطل كثيرا ولا تجد من يعينها بخلاف اللوري فانها تحمل ركابا كثيرين ولو تعطلت فى الرمل يعاونها ركابها العديدون لانهاضها ولهذا انصرفت كل رغبتنا الى الركوب فى هذه اللوري وقد قيل لنا أيضا بان الركوب فى مقدم السيارة أحسن منه فى مؤخرتها لهذا رجونا الحاج طاهر بان يجعلنا نبادر قبل الناس فى الركوب لنتخذ المكان الحسن بها

يوم الخروج

علينا ان نخرج الى جرول (الشيخ محمود) ويسمونه (البروز) لان

الحجاج ينتظرون الترحيل من هناك

وفى صباح يوم الاثنين ١٦ الحجة ٤ مايو بارحنا المنزل بعد ان قامت صاحبتى بتوديع السيدات صويحباته وقد استأجرنا عربة صندوق لحمل المتاع وللركوب ولما وصلنا الى (جرول) وجدنا الحاج طاهر يتزلف الى السيد الافغانى وقد رأيناهم أخذوا مجالسهم فى مقدم السيارة ولولا ان اجتهدنا وأفسحنا مكانا بينهم لكنا فى المؤخرة فكأنى بالحاج طاهر وهو يتمشى مع المثل القائل (بعد المعركة تصير معرفة) وقد اجتهدت ان لا أعكر الصفو بينى وبينه سيما ونحن فى مقام الوداع ونود ان يكون الختام مسكا عطرا. والحاج طاهر قد بذل جهدا كبيرا فى خدمتنا ونحن أيضا بذلنا مافى وسعنا لمرضاته

كلمة الى المسلمين

قبل ان تتحرك السيارة القى كلمة وجيزة الفت بها أنظار اخواننا المسلمين بان هذه الارض المقدسة هي المملكة الروحية للعالم الاسلامي فيجب ان نبذل النفس والنفيس فى حفظها ورفاهتها

ان الحرم المكى الشريف يحتاج الى اصلاح كبير بان تبلط أرضه بأكملها ويحتاج أيضا الى مظلات أوسع من المظلات الحالية حتى لا يجلس الناس فى الصلاة على الحصى وحتى لا تلفح وجوههم الشمس المحرقة. ويحتاج أيضا الى تعهده بالنظافة وبالدهان (بالبوية) وان يعطى له النور الكافي وان يفرش بالبسط أو جزء منه ويفرش الباقى بشيء آخر مثل الحصر أو سواها

ثم ويحتاج الحال أيضا الى دورة مياه كبيرة جدا ليتمكن الحجاج كلهم من قضاء الحاجة ومن الاستنجاء أولى من وقوفهم فى الطرقات لهذا الغرض

وما دام ان العالم كله قد تطور فيه العمران فيجب ان يصل التحسين الى المسجد الحرام . وعار على المسلمين ان لا تكون قبلتهم فى أكمل تنظيم وأفخم ترتيب

هذا واذا كانت الحكومة القائمة بالامر فى الحجاز تحتاج الى المال لهذا الغرض فالواجب علينا ان نمدها به ان لم يكن بطريق الاكتتاب فنتقبل ماتسنه الحكومة الحجازية من الضرائب على الحجاج

كلمة الى الحكومه السعودية

بقى لى كلمة أبديها للحكومة السعودية وهي أننى بارحت هذا البلد الامين المقدس وكلى السنة ناطقة بالشكر إزاء قيامها بواجبها كما تفعل الحكومات الرشيدة من المحافظة على الامن وعلى الاخلاق وعلى الدين وعلى الصحة وعلى المال وعلى الآداب وبالجملة لانها تقيم منار العدل كتعاليم الاسلام الحكيمة وإننى أتقدم إليها برجاء بسيط هوانها تسير مع جمهور المسلمين فى المسائل المختلف عليها والتى لا تزال معلقة بينها وبين جاراتها وخصوصا مصرنا المحبوبة وأن لا تخرج عن الجماعة فى كل الآراء وأن تلتفت بنوع خاص إلى حفظ الآثار الاسلامية

وربما ترى أن تعير مقترحاتى التى بينتها بكتابى هذا جانبا من الرعاية والنظر

اخر الاوقات السعيدة

أنه لا بد لكل إنسان أن يتقلب فى حلو العيش ومره ولا بد له أيضا أن تمر عليه الاضداد من أنواع الحياة فكان من أسعد أيامنا التى

مرت علينا هذه الاربعة وعشرون يوما التى مضيناها فى كنف المولى الكريم بجوار بيته المطهر وكنا كما كان عبيده محل رعايته وأمانه ورضوانه إلى أن أزمعنا الرحيل اليوم. والذى كان يكفكف الدمع المدرار الهتون ويبرد لهيب الجوى من قلب المفارق المحزون هوان وجهة السفر كانت إلى طيبة طيب الله ثراها ونظر بنظرات تحنانه واحسانه إلى أهلها وكل من يغشاها

الى جـــدة

قامت بنا اللوري قبل الظهر وسارت فى طريقها إلى جـدة وكانت تصاب بعطب أثناء الطريق حتى تعطلت مرارا فلم نصل الى جدة الا قبل الغروب بقليل وكانت طرقات جدة ومنازلها كلها مشغولة بالجاويين وعفشهم لترحيلهم الى بلادهم كذلك وكان منزل باتان مشغولا بالجـاويين والهنود ولكنهم أفسحوا لنا مكانا للمبيت فيه أما السيد الافغاني فأنه بات بمنزل آخر وأما الحاج محمد سليمان فأنه بات مع أصحاب لنا من المصريين ينزلون بدار أخرى

وقد استيقظنا فى صباح الثلاث ١٧ الحجة وصرنا ننتظر قيام السيارة وقد مشيت قليلا فى جدة وجهزنا شيئا من الغذاء لاكلنا أثناء الطريق

وانني أعود الى ما يذكره التاريخ عن جدة هذه فأن مينا الحجاز كانت فى الشعيبية وهي جنوبى جدة وقريبة منها وقد رأى الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان أن ينقلها الى جدة لقربها من مكة المكرمة فنقلها اليها من سنة ٢٦ هجرية

السيارات والحكـــومة

كل سيارة لاتخرج الى السفر الامن بعد أن تكشف عليها الحكومة كشفا فنيا وهي تأمر كل شركة أن تعد عربة احتياط تمشي وراء عرباتها تحمل

بعض الآلات والعجلات حتى اذا تعطلت احداها تمدها بما يلزم لها وأيضا تنبه الحكومة على الشركات بتعيين أحد المهندسين من قبلها يسير مع العربة الاحتياط حتى يقوم بتصليح أي عربة يحصل لها عطب وكذلك كل شركة يكون لها مخازن فى الطريق لتخزين البنزين حتى تأخذ العربات كفايتها منه

وكانت سيارتنا رقم ٧٨٠ من الشركة الخيرية وقد ذهب بها سواقها واسمه بكر السوداني الى مركز الشركة لتصليحها واعدادها للسفر

وكانت السيارات تستخدم الاجانب من المصريين وغيرهم (المسلمين) ولما تعلم أهل البلاد مهنة سواقة السيارات صارت تستغنى عن هؤلاء الاجانب

الاستعداد لقيـــام السيارة

بعد العصر أقبلت السيارة فركبنا وركب السيد الافغـاني وحاشيته وقد سار السواق بالسيارة الى أن أوقفها بجانب السور الشمالي للبلد وكان مخفر الشرطة على بابه وقد صارت الحكومة تعمل اجراآتها فى قيد السيارات ورقمها وركابها وجنسياتهم مع كتابة التصاريح اللازمة التى تخول لها المرور من المخافر الموجودة بالطريق

وعندما جاء الدور لسيارتنا كان الليل ارخى سدوله فصلينا العشي وقد استلم السواق التصاريح ولما فتح صمام الالة المحركة ليستعد للسير كان

النّور يجذب السّيّارة

انطلقت بنا السيارة انطلاق السهم من الرمية وسرنا على بركة الله تعالى والقلوب فرحة مستبشرة والصدور منشرحة مرتاحة وكانت السيارة تنير

اثناء السفر

obeikandl.com

مصابيحها الامامية القوية حتى يظهر الطريق امامها واضحا واستمرت تسير نحو الساعتين الى ان وصلنا الى نقطة اسمها (توال) فانتظرنا هناك للمبيت

وكان بهذه النقطة اماكن معدة لراحة الحجاج ومبيتهم وهي مصنوعة من (القش) وبعضها مفروش (بالخسف الخوص) ومضاء بمصابيح البترول وبها مقاعد (دكك) من الحبال الليف المجدول يشبه (العنجريب) وهي مجعولة بصفة مقهى يعرض بها الشاي والقهوة ويباع بها ايضا بعض المأكولات ويوجد غير ذلك اماكن صغيرة من (القش) ايضا مجعولة كغرف خصوصية لمن يريد العزلة فأخذ السيد الافغاني غرفة لعائلته واخذت غرفة اخرى لى وصاحبى اما الحاج محمد سليمان فانه بات بالمحل العمومي (المقهى) وكذلك الخدم الافغانيون . وكان هناك مقاهى كثيرة غير هذه لمبيت الحجاج ولما تميز الخيط الابيض من الخيط الاسود استيقظت واستيقظ الاخرون وصلينا وسرنا على بركة الله تعالى وصرنا نقف بالطريق ببعض النقط للراحة وشرب الشاي والقهوة والغذاء الى ان وصلنا الى نقطة المساجيد عند المساء وكان الاعراب يبيعون بالطريق كثيراً من الخبز والسمك وبعض البقول والفواكه

الدرب سابقا

طلقة بارودة واحدة من قمة احد الجبال التى تكتنف الدرب عن يمين وشمال كانت توقف الركب كله حتى يتفاوض العربان مع الحجيج فيملى شيخ القبيلة ارادته عليهم بان يدفع كل حاج اتاوة قدرها خمسة ريالات فيذعنون للامر ويجيبون الطلب ثم يسير الركب واذا به يسمع طلقة اخرى فيملى

شيخ القبيلة الثانية ارادته ايضا بان يدفع كل حاج ثلاثة ريالات فكان الحجاج مدى الاثنتى عشرة مرحلة التى يقطعها المسافر حتى يصل الى المدينة المنورة وهم تحت رحمة مشايخ العربان ان شاء وايسمحون لهم بالمرور والاهناك العذاب والتقتيل

وكانت تهون المصيبة لووقف الداء عند هذا الحد بل هنـاك داء دفين يستعصى برؤه وهم الاعراب (الجمالة) فأن الحاج المسكين كان يأخذ معه الشاي والبن والسكر والخبز والجبن وغير ذلك ليلقم الجمال كما يلقم الكلب المسعور والايهوى باالخنجر الى أحشائه فيفريها ولا من مغيث

أنظر كيف يكون الجاهل عدو نفسه وتأمل أيضا فى حالة المعرض عن تفهم كنه هـذه الملة السمحة كيف يتخبط فى ظلمات عميقـة من الجهل المطبق. إنه لوعرف هذا الاعرابي الغبي بأن الدين لايفرض الحج الا عنـد أمن الطريق ثم يأتى هو بصلفه وغروره فيجعل حبـل الامن مضطربا حتى يحجم الناس عن الحج ويمنع عن نفسه الانتفاع

العـــربان الان

والآن ماذا نرى ؟ نرى ذرارى هؤلاء العربان يقفون حفايا عرايا وسط طريق السيارات يستندون الاكف وينادون (يابلى بلى يابوي هللة يابوي) فيرمى له بعض الركاب بالهللة كما ترمى الكسرة الى أي حيوان

تقف السيارة ليملاء السائق خزانها بالبنزين ويلقى الصفيحة فارغة على قارعة الطريق وأقسم اننا كنا نعود فنرى الصفيحة كما هي ولا يجسر أحد من الدنو اليها

كنت أتحسر على استماعى للنصائح الجوفاء التى عافتنى عن ركوب

(التاكس) وانني أرى هذا التاكس وهو معطل بالطريق فيأتي الفاتكون بالامس والوادعون اليوم فيساعدونه الى أن يأخذ طريقه

يالله . هل نحن بالحجاز في القرن الرابع عشر الهجري ؟ كلا بل تخيلت نفسي في خير القرون وقت ان كان ظل الامن الوارف يمتد رواقه على الحجاز فيلزم الكل حدود الادب الديني و يكفون عن الاذى . وقت ان كان سلام الطمأنينة يعم البلاد فتتنفس الانفس نسيمه اللطيف فتذهب معه وخامة العسف والجور . وقت ان كان من نصر بالرعب ينشر لواء العدل فيخفق على الرؤس حتى تتقارب الانسانية وتتعرف حقيقة (الحرية والاخاء والمساواة)

الاستمرار في المسير

بتنا بالمساجيد في غرفة خصوصية ايضا وكنا نحل ربطة السجادة ونخرج الفراش منها لاجل المنام ونستخرج ايضا من (السبت) ما يلزم لنا من الطعام وكان الشاي والقهوة موجودين بالمكان فنأخذ كفايتنا منه

انه اذا عدل الراعي اعتدلت الرعية فكنت عندما اريد المنام لا استغرق فيه كثيرا للخوف على الامتعة وعلى انفسنا ايضا ولكنني رأيت انه لم يخطر على قلب اي اعرابي ان تمتد يده بسوء الينا حتى كنا نتفقد الاشياء البسيطة فنلقاها كما هي

هذا وقد مضينا الطريق وصاحبتي في صيانة تامة وحجاب محكم حتى كان هذا يدحض قول من قال بانه غير ميسور للنساء في هذا الطريق ان يحافظن على الستر والصون (ولكل امرء من دهره ما تعود)

السيد الافغـــانى

كنت انظر الى هذا الرجل بعين الاحترام والعطف حيث تظهر عليه سلامة الطوية وكان منظره يملأ العين مهابة وارتياحا والذى يزيد احترامه فى نظرى ان النساء اللائى معه كن فى غاية الحشمة والوقار وما كنا نرى لايتهن وجها ولا يدا. وكان ابنه معه وهو شاب مؤدب وكان يشكو بعض المرض فصاروا يمهدون له فراشا بالعربة فكان ينام معظم الطريق

والامر الذى كنت آسف له أنه لايعرف العربية فيكلمنى ولا أنا أعرف الافغانية فاكلمه وكذلك كل الذين معه ولهذا كنا لانتفاهم معهم مطلقا وكان معى عقاقير مختلفة للعلاج ولكنى لم أعرف نوع المرض الذي يعتريه وأخيرا ناولته بعض الحبوب المسهلة فأذن الله تعالى له بالشفاء

بلاد الافغان

هذا واننى احفظ فى قرارة النفس كثيرا من الاعجاب والحب لبلاد الافغان التى لاتزال دائبة على التمسك بتعاليم الملة الحنيفية وهي فضلا عن احتفاظها بالاخلاق القويمة الكريمة فانها ايضا تتفانى فى محبة اوطانها حتى كانت تذود عنها بكل ما اوتيت من قوة وعزيمة وعندما كان بعض متاخميها يريد ان يبتلعها يجدونها لقمة غير سائغة فلايستطيعون ازدرادها. وهكذا تكون الامم الباسلة التى تريد ان تتبوأ مركزها تحت الشمس بعزة وانفة

كذلك والتاريخ يسطر بين طياته صحيفة ناصعة من الفخر والكرامة لما قام به ابو مسلم الخراساني من الانتصار للحق حيث كان العامل القوي فى رد حقوق العباسيين

امان الله خان

وعلى ذكر بلاد الافغان قد تذكرت ان الملك امان الله خان الملك الاسبق لهذه البلاد قد جاء الى الحج فى هذا العام ونزل ضيفا كريما على البيت المالك بالحجاز . ولما جاء ذكره تذكرت فضل المولى عز وجل واحسانه وانه سبحانه وتعالى يدافع عن اللاجئين الى اعتابه القدسية حيث ان الشعب الافغاني لايحيد قيد شعرة عن مبادىء الاسلام السامية ولما اراد زعيمه ان يورده موارد البوار وان يخرجه من عز الطاعة حتى يرديه فى هاوية سحيقة من الاستخفاف والاستهتار نظر اليه مولاه بعين رحمته وانقذه من هذه الاسواء

وانى التمس بعض العذر لمن يغره زخرف هذه المدنية (المادية) حيث يكون مثله كمثل ساكن المنجم عندما يخرج الى وهج الشمس لابد ان تعشى بصره فلا يميز الغث من السمين ولا الخبيث من الطيب

الكماليون

ومن الذين جذبهم مغناطيس هذه المدنية (المادية) إخواننا الكماليون وهؤلاء قد نشأوا فى (الروملى) مجاورين لاوربا ولما وجدوا أنها تسيطر على المسكونة أرادوا أن يسير واسيرتها حتى يتقدموا تقدمها ولكن فاتهم أن الاتراك الاولين كانوا يفوقون الافرنج رجولة ورقيا وخصوصا فى الحياة المنزلية حيث كنت عندما تلج البيت يكون أول واجب عليك أن تخلع نعليك كانك تدخل الى مكان مقدس ثم تلبس شيئا آخر مثل (شبشب) أو (بنتوفلى) لم يتدنس باوحال الطريق . وأنك لتدهش من نظافة البيت

وترتيبه وقد ترى أثاثه بسيطا ولكنه يهرك نظافته وتنسيقه . وتجد أيضا ربة البيت وهي تديره بحزم ولباقة وأطفالها يدبون حولها كالاغصان الغضة الفويعة وهم يسيرون بسرعة الى النمو الطبيعي بسبب الاعتناء بتربيتهم وتنظيفهم . ولو أسعدك الحظ وتناولت شيئا من الطعام على مائدة تركية لعجبت من ترتيبها وتنميقها ويعجبك الطهي وانتقاء الاطعمة واختيار الالوان

اننا نكبر من الكماليين أثرتهم بالانتفاع بمنتجات بلادهم حتى وأن الحكومة ذاتها تحث الاهالى على تعضيدهم لبعضهم وتحتم على موظفيها أن لايشتروا الضروريات الا من صنع بلادهم . وأننا نقدر لهم أيضا تقدمهم فى مرافق الحياة كلها فهم ينشئون المصانع ويشقون الترع ويقيمون الجسور ويمهدون الطريق ويطيرون فى الهواء ويغوصون فى الماء وكل هذا جميل وحسن ولكن مابال المرأة التركية تصد خدرها وتهجر عشها هل المدنية كلها تنحصر فى بروز المرأة سافرة متبرجة ؟ فيا اسفا على المرأة التركية القديمة التى كانت تضىء البيت بجمالها وكمالها وكانت كالوردة النضرة التى لايجسر احد على العبث بها او الاقدام على مسها وكان الرجل التركي لايرتكن على المرأة لتسعى بجانبه كما يفعل الاغيار من الامم بل كان يكد ويكدح لاجل اسعادها وصونها

ولقد قيل بان الذى جعل الكماليين ينأون بجانبهم عن الشرق ولم يريدوا أن يروا بينهم اثارة من أثره حتى أبدلوا أحرف كتابتهم بالاحرف اللاتينية انهم وجدوا المسلمين من كل الجنسيات يتألبون عليهم حتى خسروا الحرب

وقد نتج من هذه الحالة ظهور اية من ايات الله الكبرى تعرفنا بان

كل من اعتز بغير الله لابد ان يذل على يديه فترى الذين ظاهروا الحلفاء بالامس يعضون النواجذ أسفا اليوم حيث انهم قلبوا لهم ظهر المجن ونكثوا بعهودهم معهم (إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) - قرآن كريم -

النهار السعيد

استيقظنا فى الصباح المبكر من يوم الخميس ١٦ الحجة ٧ مايو وبعد

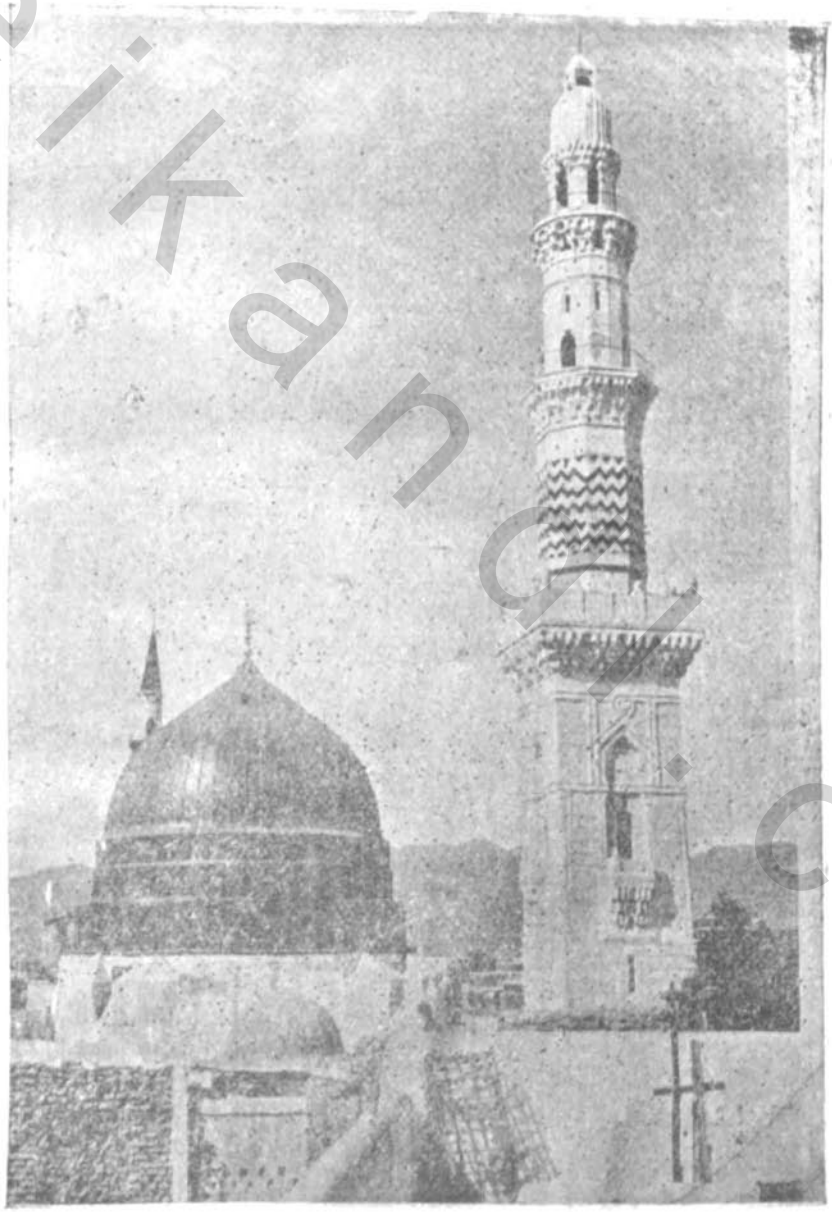

رسم قبة النبى عليه الصلاة والسلام

obeikandl.com

ان أدينا واجبنا نحو ربنا ونحو نفوسنا ركبنا السيارة وقلوبنا تخفق لشدة الفرح وقد شعرت بقشعريرة بسبب برودة الجو ارتديت لاجلها المعطف وكان هـذا برد المدينة وسلامها هدية الكريم لتحية القدوم

يقول هانوتو وزير خارجية فرنسا سابقا (وما قبر محمد إلا نور كهربائي يجذب قلوب المسلمين) وهذه هي الحقيقة بعينها لان قلبي كان يستبطئ السيارة وهي تنهب الارض نهبا وتهد الجبال هدا ويود ان لو يطير ليحظى بشرف المثول

هذه آبار علي بشائر أعلام المدينة شربنا من ماءها حتى ارتوينا لانه عذب زلال ثم تابعنا السير حتى شاهدنا النور والبهاء والجمال

في حضرة الكمال

مدينة النور

هذه مدينة المدنية الصحيحة التي تبعد الانسان عن عبادة الاشخاص. هذه مستودع النور الذي يشع على الانسانية فينير لها طريقها الى الهدى والرشاد. هذه مهبط الوحي ومهد العرفان ومنبع الكمال والجلال. هـذه مدينة الايمان الذي ارتشف من منهله العـذب خلصاء المؤمنين فصارت قلوبهم عامرة بالعلم الصحيح والرأي الرجيح علم الحيـاتين وسعادة الدارين

وقفت اللوري بالمتسع الكائن امام محطة السكة الحديد القديمة ويرحم الله أيام هذه السكة الحجازية كنا نكتتب ويكتتب الناس لاجلها حتى اذن الله تعالى لها بالتمام فكانت سفرتنا بها عام ١٩١٠ سفرة مريحة مزيحة للاتراح حتى جاءت هذه الحرب العالمية المشؤمة فعطلت هذه السكة المباركة ولله في خلقه شؤون

المسافة بين مكة والمدينة ٥٠٠ كيلو مترا تقريبا وكان يمكن السيارة

ان تقطع هذه المسافة بالراحة فى ظرف سبع عشرة ساعة أي باعتبار ثلاثين كيلو مترا فى الساعة الواحدة لان الطريق ليست ممهدة بل كانت السيارة تسير بين وهاد ونجاد وقد قطعت السيارات هذه المسافة فى نحو الستين ساعة لانها كانت تجنح الى الراحة حتى تصلح من شأنها وتأمن سخونة عدتها وحتى يستريح السواق ومساعده أيضا

فى مقعد بنى حسين

تقدم الينا بعض أهل المدينة يدعوننا الى النزول عندهم ولكننى كنت

الباب المصرى بسور المدينة المنورة

obeikandl.com

أحمل اسم الشيخ عبد الله صالح فضايلي ولما ذكرت اسمه حضر أخوه الشيخ حمزة فضايلي وأحضر الحمالين التكارنة حملوا الامتعة وسرنا من باب العنبرية (وهو احد أبواب السور الاول) الى المناخة الى الباب المصري (أحد أبواب السور الثاني)

وهناك قريبا من باب السلام عطفنا جهة اليمين على نزلة بنى حسين ودخلنا دار الفضايلي وهي معروفة (بمقعد بنى حسين) وقابلنا الشيخ عبد الله ببشاشته وحسن خلقه . واهل المدينة المنورة كلهم على جانب عظيم من الوداعة ولين العريكة . واخلى لنا دورا ارضيا و حدنا اما الحاج محمد سليمان فانه نزل بغرفة بدور علوي مع حجاج اخرين من الهنود والجاويين وكان يتوعك من مرض اصابه الا انه ببركة تقواه وورعه كان يقاوم هذا المرض مع اخذه باسباب العلاج والسيد الافغاني قد ذهب الى منزل اخر وكان لابد لى ان انظف ثيابي وبدني حتى استعد للقاء العظيم

امام الحضرة النبوية

بدت أنوار طه فكانت قرة العين وفرحة القلب فوقفت أمام الحجرة الشريفة وليس عندى جارحة الا وتضطرب لعظم هذا الوقف وجلاله وهذا بعد ان قمت للمسجد الشريف بواجب التحية بالصلاة

وضعت يدي على صدرى وقلت السلام عليك يارسول الله . السلام عليك ياحبيب الله . أشهد انك بلغت الرسالة وأديت الامانة فجزاك الله عنا وعن أمتك خير الجزاء . ثم انتقلت خطوة الى يمينى وسلمت على سيدنا الصديق الكريم ثم خطوة أخرى وسلمت على أمير المؤمنين الفاروق وبعد هذا استقبلت القبلة ودعونا الله تعالى ان يصلح شأننا وشأن المسلمين

وكنت أرى الجند السعوديين يكفون أيدى الناس عن التمسح بالقبر

الشريف ويقولون للناس ان هو الا نحاس أحضر من الاستانة وصاحب القبر قد أدى مأموريته التى كلف بها ثم مات

وهنا سألت نفسى هل العساكر عندنا فى مصر يجندون من الطبقة المتنورة حتى أقيم لقول العساكر السعوديين وزنا ؟ كلا بل هم قوم لايعرفون من الدين الا قشوره ويتمسكون بجزء جامد غير مرن من التعليم لايتمشى مع روح الاسلام العالية وتعاليمه المجيدة التى توافق كل زمان ومكان

لقد وصل الى علمنا ان الصحابة وهم الذين ائتمنهم على أخذ ديننا عنهم كانوا يمسحون بوضوء الانسان الكامل أبدانهم للتبرك ووصل الى علمنا أيضا ان يده الشريفة وريقه المبارك كم ابرآ من مرض وكم أذهبا من وصب ومتى عرفنا هذا نعتقد بان جسده الشريف مبارك وكل مايلامسه مبارك أيضا . سيما وانه يقول الخواص من المسلمين ان هذه البقعة من الارض التى تضم اعضاء أشرف الورى هي أفضل من كل شيء فى الوجود

ويقول الجند السعوديون أيضا ان المصريين تبعدهم الشقة ويتجشمون مشاق الاسفار الى بلد الله الحرام فتغسل ذنوبهم ثم يستأنفون مكابدة السفر الى المدينة المنورة فيحملون من الاوزار مايعودون الى بلادهم وقد تنوء به كواهلهم

سل أية عجوز من المصريات هل الذى هنا فى هذا القبر آله أو شريك للآله أو وزير للآله ؟ تجبك بصريح العبارة . حاشا وكلا . انه عبد الله ورسوله وهو لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولكن مولاه اجتباه وبعثه الى الخلق ليرشدهم الى الحق حتى اختاره الى جواره الكريم

فنحن ان قطعنا الفيافى والقفار للوصول الى أحد المساجد الثلاث التى

تشد اليها الرحال فما هو الا لطلب رضوان الله تعالى والتماس المدد الذى استمده منه رسوله وحبيبه

وهو عليه الصلاة والسلام حي فى قبره يرد السلام على من يسلم عليه ومن يعارض فى هذه الحياة فهو يتشكك فى الايمان بالآخرة والجنة والنار حيث ان أهل النار يعذبون فيها ولا يموتون والنار فى علمنا انها مميتة فالقدرة التى تبقى الحياة فى أجساد هؤلاء المخلدين فى العذاب قادرة أيضا على اعطاء الحياة للجسد فى البرزخ بغير حاجة الى غذاء أو هواء

وبما ان وظيفتى هنا كمؤرخ حسب وان انتقادى هو من ناحية العمران والاجتماع وأما من ناحية الشفاعة والوسيلة والمعجزات والكرامات والحياة البرزخية وما الى ذلك فليس من شأنى البحث فيه . بل من عندهم علم الكتاب سادتنا العلماء الذين هم ورثة الانبياء هم الذين يبينون ويرشدون . ولقد ارتاحت نفسى كثيرا الى ما يكتبه حضرات علماءنا الاجلاء بمجلة نور الاسلام الازهرية الغراء فى هذا الصدد مما أرضى الله سبحانه وتعالى وأرضى الامين المأمون فى قبره

الاتصال بالمدعى

أصبحنا الجمعة ٢٠ الحجة ٨ مايو فبكرت الى المسجد النبوي الشريف لأحظى بشرف الزيارة وقد مكثت فى هذا المتاع الحسن حتى مطلع الشمس ثم خرجت الى جهة مقبرة المدينة المنورة وهي (بقيع الغرقد) فقابلنى رجل مدني من رجال الشيخ حامد الخطيرى الذى ينزل عنده أهل مصر وأهل الوجه البحري من القطر المصري وقد أخذ اسمى وبلدى وطبع صورتي أيضا فى مخيلته ولزاما على كل نازل بالمدينة المنورة ان يتصل بالمدعى

كما كان يتصل بالمطوف بمكة والمطوفون فى مكة كثيرون لان الحجاج ينزلون بها فى وقت واحد أما المدينة المنورة فان الزوار يأتون اليها زمرا زمرا وفى أوقات مختلفة

عند أنوار البقيع

دخلت من الباب المقام هناك فوجدت القبور كلها صارت مع الارض فى مستوى واحد ولقد أخذ منى العجب أي مأخذ من مبدأ الوهابيين فى الكراهة الشديدة للقبور فما رأيت امة ولا مذهبا يقول قولهم

وضعت حذائى تحت ابطى ومشيت ولو استطعت ان امشى على صفحات خدى ما ترددت لانهم اهل البقيع وما ادراك من هم اهل البقيع هم اقرباء النبي الكريم وانسبائه وعترته واهل بيته بل هم الكواكب المتألقة فى سماء الاسلام الصاحية فهم هداته وهم قادة الخلق الى عز الحياتين

مولاتى الزهراء

انه يعز علي ان تندثر معالم قبرك الشريف حتى يداس عليه بالاقدام ولو أقيم بجانبه مسجد أو أي بناء مامشي عليه احد وهو يدب بالنعال

قامت الحرب بين روسيا واليابان فكان الشبان اليابانيون يتطوعون للجندية مدفوعين بعامل التحمس للوطنية وقد تقدم الى مكتب الفرز فتى من اهل طوكيو فلم يقبله الكشف الطبي لضعف فى بصره فقال اذا لم